مؤلف: **مجموعة مؤلفي بيان الإسلام**
مصدر: **موسوعة بيان الإسلام**
لتاريخ: **31/08/2020**

نص السؤال

ادعاء أن القرآن في حديثه عن أهل الكتاب يدعو إلى إرهابهم والتحقير من شأنهم

الجواب التفصيلي

ادعاء أن القرآن في حديثه عن أهل الكتاب يدعو إلى إرهابهم والتحقير من شأنهم (*)

ون الشبهة:

إدعائهم

لى:

(كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون (8))

(التوبة).

كما يزعمون أن القرآن قد نبذ اليهود والنصارى، وحقر من شأنهم، مستدلين على ذلك

لى:

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين (51))

(المائدة).

ين من وراء ذلك إلى وصم الإسلام بأنه دين إرهاب واعتداء على الآخرين.

إبطال الشبهة:

1) المراد من الآية الأولى هم المشركون لا أهل الكتاب، بدلالة السياق قبلها.

2) أما المراد من الآية الثانية فهو النهي عن موالاة أهل الكتاب من اليهود والنصارى وذلك لا يعني ظلمهم أو اضطهادهم أو عدم اتباع سماحة الإسلام في معاملتهم.

3) ليس معنى أن القرآن ينهى عن موالاة أهل الكتاب، أنه يحقر من شأنهم أو يستهزئ بهم، بدليل تعامل المسلمين معهم بالرحمة والتسامح.

ل:

راد الآية الأولى هم المشركون لا أهل الكتاب:

هم،

سبحانه وتعالى:

(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير (13))

(الحجرات)

ب غيرهم أو الاعتداء عليهم، وإنما يدعوهم إلى حسن معاملة الآخرين، وإن خالفوهم في العقيدة والدين طالما أنهم مسالمون غير معتدين، أما إذا اعتدوا وبدءوا بالقتال والحرب فالقرآن يدعو إلى رد العدوان، عن

(فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم)

(البقرة: ١٩٤).

أما الذين يدعو القرآن إلى قتالهم في

له تعالى:

(كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة)

(التوبة: ٨)،

لها،

لى:

(كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين (7))

(التوبة).

ين [2] كل عهد وقرابة وعرف، "أما إذا شعروا بالضعف فإنهم يقدمون للمؤمنين الكلام اللين الذي تنطق به ألسنتهم وتأباه قلوبهم الحاقدة الغادرة " [3].

صله الشيخ الغزالي قائلا: المعنى المقصود بالآية الوثنيون المهاجمون للإسلام، الناكثون عهدهم معهم، فكيف يدعون أنها نزلت في أهل الذمة، مع أنها وردت في المشركين النافضين للعهود؟!!

هد [4].

و قريش وحلفاؤهم وليس أهل الكتاب من النصارى واليهود، مما يبطل زعمهم الفاسد من أن الإسلام يدعو أتباعه إلى إرهاب أهل الكتاب وتحقيرهم، فالحقيقة أن هذا إسقاط منهم، فهم الذين يحرصون دائما الأمة

د بالموالاة والنهي عنها لا يعني الاعتداء أو عدم اتباع سماحة الإسلام في معاملتهم:

لإسلام على مفهوم النصرة، والمودة والتعاهد، والتناصح والبذل في سبيل دفع الأذى وتحقيق النفع، ولذلك فقد منع القرآن المؤمنين من ولاية الكافر "فريق المحاربين":

(إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون (9))

(الممتحنة).

ل سبحانه وتعالى:

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء)

(المائدة: 57).

ان:

(والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق)

(الأنفال: 72).

حة،

كفروا بعضهم أولياء بعض)

(الأنفال: 73)،

شر:

والمؤمنات بعضهم أولياء بعض)

(التوبة:71).

ح القول أن الإسلام يحقر من شأنهم؛ لأن استبعاد الموالاة شيء، والاحتقار شيء آخر، والاستشهاد بالآية السابقة كدليل إدانة ليس في محله على الإطلاق.

وعلى هذا فإن دعواهم أن القرآن في غالب حديثه ينبذ اليهود والنصارى ويحقر من شأنهم

لى:

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض)

(المائدة: ٥١)،

تلك الدعوى ناتجة عن فهم خاطئ وتفسير للقرآن بدون علم، إذ إننا إذا رجعنا إلى سبب نزول هذه الآية تبدد الوهم وزال الإشكال فقد أخرج ابن إسحاق وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، وال

ئدة:

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض)

(المائدة: ٥١)

إلى قوله:

(فإن حزب الله هم العالبون (56))

(المائدة)،

على الإسلام أن يحذر أتباعه من الأعداء المحاربين له المتربصين بأهله الدوائر إذ إن تنفير أفراد الأمة من مهادنة خصومها واجب يتجدد في كل عصر، فعندما تحرم الحكومة المصرية مثلا التعاون مع القوات الأجنبية،

ى 10: 34)، ولكننا كمسلمين نؤمن بمفهوم السلام في كل الرسالات السماوية - غير المحرفة طبعا - لا نعتقد أن رسالة المسيح تسعى لإفساد الأرض، ولا تحيا إلا لسفك الدماء، فهذا فهم أخرق.

ما ورد في الآية القرآنية السالفة الذكر، أنها نزلت تطهيرا للمجتمع الإسلامي من ألاعيب المنافقين، وما يدبرونه في الخفاء من مؤامرات لمساعدة فريق من أهل الكتاب أعلنوا على المسلمين حربا شعواء، واشتبك

هم،

لى:

(فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين (52))

(المائدة).

رى،

لى:

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين (57))

(المائدة) [5].

امح.

الإسلام من اليهود والنصارى:

حاب العقائد والديانات المخالفة موقف الرفض المطلق، كما يدعي البعض، بل إننا نجد في القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة ما يزخر بقيم العدالة والمساواة في معاملة المخالفين؛ ومنها:

- الإسلام لم يكره أحدا على اعتناقه، بل سمح لأصحاب الأديان الأخرى بالبقاء على دينهم دون أن يسلبهم حقوقهم، أو يكون ذلك سببا في التقليل من شأنهم، أو سلبهم حقوقهم الكاملة في المواطنة مع الم

كراه في الدين)

(البقرة: 256)،

صا:

(لكم دينكم ولي دين (6))

(الكافرون)،

ملة.

- دعا الإسلام لإقامة جسور الحوار والتفاهم والتعاون والمودة مع غير المسلمين من أهل الكتاب

(قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم)

(آل عمران: 64)

، بل نحن مأمورون بالرفق معهم.

جادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن)

(العنكبوت: 46).

مطلقة بشأن أهل الكتاب من اليهود والنصارى من مثل: كلهم سواء، كلهم أعداء، مراعاة للعدل في الحكم عليهم، وذلك في آيات القرآن التي تفرق بين قوم افتروا من الحق وتمثلوه في بعض صوره، وآخرين نأ

- قال سبحانه وتعالى:

(ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون (113) يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين (114))

(آل عمران)،

ل سبحانه وتعالى:

(ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون (75))

(آل عمران)،

ل سبحانه وتعالى:

(ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم)

(البقرة: 109).

سبحانه وتعالى:

(لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى)

(المائدة: 82).

، الإسلام بين أهل الكتاب في الوصف على حسب معاملاتهم مع المسلمين، فهناك الطيب والخبيث في كل آن ومكان.

ات:

(فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره)

(البقرة: 109)،

دل:

(لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين (8))

(الممتحنة)،

والحوار الهادئ

جادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن)

(العنكبوت: 46)،

وار:

(وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون (46))

(العنكبوت: 46).

- ثبت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه حذر من إيذاء وظلم أهل الذمة من اليهود والنصارى المسالمين، المحافظين على نظام الدولة وقوانينها،

لم:

معاهدا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما».

[6]

افة [7] عنهم، ولا يتنافى هذا الموقف مع ردود الأفعال الحاسمة للإسلام من رفض العقائد والمبادئ التي تسربت إلى الأديان الكتابية، كعقيدة التثليث، والقول في طبيعة المسيح، ومبادئ الصلب والخلاص والفداء

هنا لا يتنافى مع حدتهم بالنسبة للمناوئين والمحاربين من أهل الكتاب، الذين يتربصون بالمؤمنين ودولتهم الدوائر، فيكيدون لهم ويتحالفون مع أعدائهم، إذ إنه لا ضرر ولا ضرار في الإسلام.

المسلمين مع غيرهم على أساس من الرحمة والتسامح:

حديث عن النبذ والاحتقار له ما يرده من سيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - أيضا، إضافة إلى آيات القرآن الكريم التي ذكرناها،

له:

«إنها ليهودي، فقال صلى الله عليه وسلم: أليست نفسا» [8]؟

له عليه وسلم - من وفد نصارى نجران الذي جاء لمقابلة الرسول في المدينة ومحاورته، فقابلهم في مسجده الشريف، وسمح لهم بالصلاة فيه، ثم جادلهم وحاورهم بالحجة والبرهان وتحداهم فرفضوا.

التي توصي بأهل الكتاب خيرا، وليس أدل على ذلك من قصة طعمة بن أبيرق المسلم - الذي سطا على أهل بيت من المسلمين وسرق منهم درعا، ثم خبأها عند يهودي، وكانت كل الدلائل تشير إلى اتهام اليهودي،

لى:

(ولا تكن للخائنين خصيما (105) واستغفر الله إن الله كان غفورا رحيما (106) ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما (107))

(النساء) [9].

ر اليهودي على المسلم، فكيف يأتي من يدعي أن القرآن هضم حقوقهم باعتبارهم أقليات في الدولة الإسلامية، مخالفين للدين الرسمي؟! فقد وضع القرآن والسنة النبوية ميثاقا يتعامل به المسلمون مع غيرهم

(وجادلهم بالتي هي أحسن)

(النحل: 125)،

ارا:

اء فليؤمن ومن شاء فليكفر) ،

(الكهف: 29)

ين.

ع أن الإسلام لا يدعو في تعاليمه السامية إلى إرهاب اليهود والنصارى أو الاعتداء عليهم أو التحقير من شأنهم كما يزعم هؤلاء، إنما أمر بمعاملتهم بالحسنى وجدالهم بالتي هي أحسن وبرهم والإنصاف معهم والإح

ة:

لنا وعليهم في المعاملة كما لهم وعليهم في الأحكام الدنيوية، وأما في الآخرة فلا يستوون عند الله، كما قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [الحشر: 20]، وقال: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾ [السجدة: 18]، وقال: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: 28].

والون من يكن لهم البغضاء، فالآية الكريمة تتحدث عن الكفار المحاربين الذين نكثوا عهدهم مع المسلمين، فهل يفرض عليهم في تلك الحال أن يتركوا إيذاءهم دون أدنى اعتراض، بل يتخذوهم أولياء، وهم يعادون ا

م المقدسة (الإنجيل والتوراة المحرفين) من أعمال وحشية ونبذ السلام، والذي يعدونه قربى إلى الله، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

جه لصحة هذا الادعاء القائل: إن القرآن في حديثه عن أهل الكتاب يدعو إلى إرهابهم والتحقير من شأنهم، وذلك للآتي:

- المراد بالآية الأولى المشركون أهل الكتاب، بدليل السياق قبلها، حيث تحدثت الآيات التي قبلها عن المشركين الذين نقضوا عهدهم يوم الحديبية مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأعانوا بني بكر حلف
- المراد بالآية الثانية النهي عن موالاة المحاربين من أهل الكتاب أثناء الحرب بين المسلمين وبينهم، وهذا شيء يقره العقل، فكيف تتعاون الأمة مع عدوها على نفسها، ومع ذلك تبقى دلالة الآية معمولا بها ف
- ليس معنى أن القرآن ينهى عن موالاة المحاربين من أهل الكتاب، أنه يحقر من شأنهم، ويستهزئ بهم، فالأحداث التاريخية حافلة بالمواقف التي تثبت مدى العدل والإنصاف الذي تعامل به المسلمون مع غير

المراجع

1. (*) أسئلة بلا أجوبة، صموئيل عبد المسيح، موقع الكلمة. [1]. هوادة: لين ورفق.
2. [2]. نابذين: تاركين.
3. [3]. تفسير الوسيط، د. محمد السيد طنطاوي، مطبعة السعادة، القاهرة، ط1، 1406/ 1986م، ج5، ص61 بتصرف يسير.
4. ت[4]. ص40 بتصرف.
5. ت[5]. ص39، 40 بتصرف.
6. [6]. أخرجه البخاري في صحيحه، أبواب الجزية والموادعة، باب إثم من قتل معاهدا بغير جرم (2995).
7. [7]. الفاقة: الفقر والحاجة.
8. [8]. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنازة، باب من قام لجنازة يهودي (1250)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب القيام للجنازة (2269).
9. ت[9]. ص62، 63 بتصرف.
10. [10]. البتر: الفصل والقطع.